دولة الإمارات العربية المتحدة/ دبي

المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية

الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي

7 – 10/ 5/ 2014م - 8 – 11/ 7/ 1435هـ

(أثر اللغة العربية في مستوى قدرات الأفراد اللغويّة وملكاتهم ومهاراتهم)

بقلم

د. كلثم الشيخ عمر الماجد

عضو هيئة تدريس/ معهد دراسات العالم الإسلامي/ جامعة زايد

دبي

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاةُ والسّلامُ على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه الغرِّ الميامين، وبعد ،،،

لغتنا العربيّة هي اللغة التي ارتضاها ربُّ العالمين لتكون وعاءً لكتابه العزيز، وهي التي فضلّها ربُّ العزّة على غيرها من اللغات، ووهبها السّيادة والرّفعة، ليأوي إليها الناس في مشارق الأرض ومغاربها، وليتعلموها، وليُتقِنوا بها تلاوة القرآن الكريم. فإذا بها تجذبُ لِباحاتِها الشاسعة المسلمين وغير المسلمين، وتحظى بالعناية والاهتمام من شعوب العالم كلّه.

هذه اللغة التي أمتعتْ أسماعنا وداعبتْ أرواحنا، وتفاعلت مع نفوسنا، وأسعدتْ قلوبنا؛ لا تستحقّ منّا الكتابة والإرشاد لضرورتها وبيان أهميّتها في الحياة فحسب، بل تستحقّ كلّ عنايةٍ واهتمام، بل واحتضان وإسكانْ؛ فإنّها شخصيّةٌ قائمةٌ بذاتها؛ تدُلُّنا على الطريق إن تاهتْ بنا السُّبُل. وترشدنا إلى الصواب إن ضاقت علينا الحلول.

لقد تمتّعتْ هذه اللغةُ بعناية ضخمة؛ اتّحدَتْ لأجلها أقلامٌ، وشِفاهٌ عربيّة وأعجميّة؛ فظهرت بأبهى حُلّةٍ وأزهاها بين لغات العالم.

هذه الفقرات ليست فضولُ كلام، ولا هي زينة للمقدمة، ولكنها إضاءات تُرشدُ إلى أثر اللغة العربيّة وضرورتها في حياة العرب وغيرهم.

وقد ناقش البحث هذا الموضوع مُبيّناً أثر اللغة العربيّة في تنمية مستوى قدرات الأفراد ومهاراتهم وملكاتهم؛ فجاء موضّحاً حقيقة ذلك الأثر، ومُحدِّداً بعض معالم الواقع الذي يشهدُ لتلك الحقيقة ويؤكّدها.

ولمّا كانت غاية هذا البحث هي الكشف عن ذلك الأثر وبيانه، لزم تضمينه عدداً من الموضوعات ذات الصّلة؛ فجاءت مباحثُه على النحو الآتي:

تمهيد: وفيه: مفاهيم المصطلحات. (اللغة – القدرات اللغويّة – الملكات – المهارات)

المبحث الأول: تأثير اللغة العربية في المجال الأدبي للأفراد، وفيه عنصران:

أولا: إثراء الملكات البلاغية وإكساب مهاراتها وغزارة مؤلّفاتها.

ثانياً: أثر مفردات اللغة العربيّة في إثراء علم المعاني والبيان، وتوشيح الأساليب الكلاميّة بها.

المبحث الثاني: أثر اللغة العربيّة في تنمية القدرات اللغويّة العربيّة ومهاراتها لدى غير الناطقين بها في الأصل. وفيه ثلاثة نماذج:

الأول: براعة علماء بلاد فارس في اللغة العربيّة وعلومها.

الثّاني: براعة علماء الهند في اللغة العربيّة وعلومها.

الثالث: قدرات المستشرقين في الدراسات العربيّة

الخاتمة والنتائج والتوصيات

وهذا فضلٌ من الله تعالى مَنّ بهِ عليّ، فإن أحسنتُ فمنَ الله، وإن أسأتُ فمن نفسي وتقصيري، وأسال الله تعالى أن ينفع به.

والحمد لله ربّ العالمين

تمهيد: مفاهيم المصطلحات.

تُعدّ اللغة العربية منبعاً غزيراً لكثير من العلوم، ووسيلة بالغة الأهميّة؛ لما تحتويه من ثروةٍ لغويّة متجدّدة، وخصوبةٍ في الاشتقاقات، حتى باتت ترفدُ علماء اللغة بمواردٍ ساعدتْ على الإبداع في تأسيس قواعد لغويّة وبلاغية عُدّتْ مرجِعاً لا يُستغنى عنه في ضبط أدوات التواصل اللغوي والفكري، وامتلاك مهاراته، بل والتميّز بتلك المهارات عما حوتهُ قواعدُ اللغات الأخرى.

وما من شكّ في أن اللغة التي تمتلك هذه المقوّمات تستطيع التفوّق على غيرها من اللغات، وتستطيع أن ترتقي بمجتمعها وتُرقّي مستوى قدراته اللغوية، وملكاته ومهاراته. وباستطاعتها أيضاً أن تحمل راية العلوم وتنهض بمجالاتها المختلفة. وصدق من قال: "إن للكلمة العربية مسيرةً في المعاني منذ أقدم العصور، مستفيدة من الأبنية في تكثير المعاني" [1] هذا القول يشير إلى غزارة اللغة العربية، وسَعَتِها؛ ومن كانت لغتُهُ غزيرة كان أقدر على التمتّع بالإبداع والتّفوّق في جميع مجالات الحياة.

لذا أمكن القول إنّ اللغة العربية لها تأثير كبير في تنمية قدرات الأفراد اللغويّة وملكاتهم ومهاراتهم.

ولبيان فاعليّتها في هذه الجوانب يحسن التعريف بمفهوم هذه المصطلحات، وبيان صلة اللغة العربية بها.

أولاً: مفهوم اللغة: يرى ابن جنّي [2] أن اللغة **"أصواتٌ يُعبّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم"**.[3] وهذا المعنى يجمع بين "الأصوات والتعبير" ويُفهمُ منه أنّ لِلُّغة إطاراً يحتوي الأصوات وتركيب الألفاظ وتناسُق المفاهيم في آنٍ واحد؛ لأنّ خلوّ الأصوات من تركيب الألفاظ وتناسُق مفاهيمها يُخرِجُها من إطار اللغة إلى إطار الأصوات العامة للبشر وغيرهم من الكائنات. وما ذهب إليه ابن جنّي يُفهم منه أنه صفةٌ ابتدائيّة لِلّغة، ثمّ تتفاوت بعد ذلك اللغات في الحُسْنِ والبيان؛ وهذا التفاوت يكشف عن منزلة اللغة العربية بينها. وقد أثبت ابن فارس[4] التقدّم البياني لِلُّغة العربية فقال: "لغة العرب أفضل اللغات وأوسعُها"[5] واستشهد لذلك بقوله تعالى: **(وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العالَمينَ [192] نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمينُ [193] عَلَى قَلْبِكَ لِتَكونَ مِنَ المُنْذِرينَ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبينٍ [195]).{**الشعراء: 192-195} ثم عقّب على الآية فقال: "فوصفه – سبحانه- بأبلغ ما يوصف به الكلام، وهو البيان. قال تعالى: **(خَلَقَ الإِنْسانَ [3] عَلَّمَهُ البَيَانَ [4])** { الرحمن: ٣ – ٤} فقدّم سبحانه ذكر البيان على جميع ما توحَّد بخلقه، وتفرّد بإنشائه؛ من شمس وقمر، ونَجْم وشجر، وغير ذلك من الخلائق المُحْكَمَة، والنشايا المُتقنة، فلمّا خصّ – سبحانه – اللسان العربي بالبيان عُلِم أنّ سائر اللغات قاصرةٌ عنه وواقعةٌ دونه".[6] وهذا التفوّق الذي حظيت به اللغة العربيّة من شأنه أن يهَبَها قدرات ومزايا تتجمّل بها على مرّ الأزمان والعصور؛ وعليه فلا يمكن أن تعجز اللغة العربية في يوم من الأيام عن تلبية احتياجات البشر العلمية والتنموية.

ثانياً: مفهوم القدرات اللغويّة: هذا العنوانُ يحتمِلُ جانبين:

أحدهما: مفهوم القدرات اللغوية عند المختصين بعلم النفس اللغوي، المَعْنِيِّ بطُرق اكتساب اللغة ووسائلها وصعوباتها... ونحو ذلك. ولا صلة لهذا الموضوع بموضوع بحثنا.

وثانيهما: مفهوم القدرات اللغوية ذات الصلة بمهارات اللغة، ومحاسن إتقانها، ومردودها الفعلي في علوم اللغة العربية على وجه الخصوص، وغيرها من العلوم. وهو ما تُعنى به دراسات اللغة العربية والدراسات البلاغية، وكذلك البحوث التربوية والنفسية. وقد عُرِّف في هذا العلم مصطلح "القدرات اللغوية" باستخدام كلمة "اللفظ" عِوضاً عن كلمة اللغة؛ فقيل: **"القدرة اللفظية: قابلية الأفراد على فهم الألفاظ والتغييرات المختلفة ومعرفة مترادفات الكلمات وأضدادها؛ فهي لذلك ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأسلوب اللغوي للفرد وثروته اللفظية وتفهُّمِه الدقيق لتباين الألفاظ واختلاف معانيها"** [7] هذا التعريف يتناول جانب المهارات اللغوية للأفراد وقدراتهم في ذلك. ويشير محتواهُ أيضاً إلى الملكات التي تساعد المتكلم على إحكام التباين في الألفاظ واختلاف معانيها.

وعليه فإنّ القدرات اللغوية هي ذلك الجانب الذي يتفاوتُ فيه البشر من حيث الثروة اللغوية وقدرات التعبير، وتوليد الأساليب الكلامية المحكمة، والإبداع في اللغة عموماً. وهو ما تمتّع به – على وجه الخصوص- رُوّادُ العلوم اللغوية والنحوية، ومؤسسوا العلوم البلاغية. وغيرهم مِمّن أقبل على اللغة العربيّة باحثاً عن مكنوناتها ومُنقِّباً عن أسرارها.

وتنمو القدرات اللغويّة نموّاً طرديّاً مع الاستخدام الأمثل للغة؛ وهذا ما أثبتته التجارب التربوية والتعليمية في تاريخ التعليم عند المسلمين؛ وضّح هذا المعنى ما ذُكر عن الجاحظ في حديثه عن "القول"؛ فـ " لا شيء - عند الجاحظ - يُفسِدُ اللسانَ ويُصيبه بالشلل عن أداء وظيفته كطول الصمت، وله في ذلك كلمات منها: "إذا ترك الإنسانُ القول ماتت خواطره، وإذا أقْلَلتَ تقليبَهُ وأَطَلْتَ إسكانَهُ جسأ وغلظ.[8] ولِأمْرٍ ما كان العربُ يُروُّونَ صبيانَهم الأرجاز، ويُعلِّمونهم المُناقَلات، ويأمرونَهم برفع الصّوت وتحقيق الإعراب، لأنّ ذلك يفتق اللّهاة[9] ويفتح الجرح، أي الحلق".[10] فانظر كيف جعل من الدُّرْبَة على القول والصوت معاً أداة لإحسان اللغة وإتقان الكلام وضبط مخارج الحروف. وهذا الجانب يرتبط بالملكات والمهارات اللغويّة، وسيأتي في تعريفهما ما يُقارب كلام الجاحظ، بل ما يؤيّدُه كلامُهُ ويوضّحُه.

ثالثاً: مفهوم الملكات: عرّفها الجرجاني بأنها **"صفةٌ راسخة في النفس، وتحقيقهُ أنّهُ تحصلُ للنّفس هيئة بسبب فعلٍ من الأفعال، ويُقالُ لتلك الهيئة: كيفيّة نفسانية، وتُسمّى: حالة؛ ما دامت سريعة الزّوال، فإذا تكرّرت ومارستها النفس حتّى رسخت تلك الكيفيّة فيها وصارتْ بطيئة الزّوال فتصير مَلَكة، وبالقياس إلى ذلك الفعل: عادةً وخلقاً"**.[11] يشيرُ بهذا التعريف إلى حالة الاستعداد التي يمتلكها الإنسانُ، وتتّصفُ أولاً بالبدائيّة والليونة – إن صحّ التعبير- بمعنى أنّ ذلك الاستعداد قابلٌ للتطوير، وقابلٌ للفُقدان في الوقت نفسه؛ فإذا ما تمّ الاعتناء به وتطويره أصبحَ "عادةً وخلْقاً" كما عبّر الجرجاني؛ بمعنى أنّها تُصبحُ صفةٌ ملازمةٌ للإنسان يصعُبُ اقتلاعها من نفسه. فإذا تمكّنت الصفةُ من هذه المنزلة جادت على قدرات الفرد بالتفوّق في الأداء، وهنا يُمكن أن نلْحظ تأثير اللغة العربية في تنمية الملكات اللغويّة بالأسلوب الذي ذكره الجاحظ سابقاً، وبأساليب أخرى حتماً. وهذا ما تجلّى في تأثير لغة القرآن الكريم والسنّة النبويّة على علماء اللغة وعلماء البلاغة، وكذا أبناء اللغات الأخرى، بما حوَتْهُ مِن استخداماتٍ جديدةٍ لمُفردات عربيّة، لم تكُنْ تُستخدمُ لدى عرب الجاهليّة على النّحو الوارد استخدامه في القرآن والسنّة النبويّة.

ويلتقي مفهوم الملكات في جانب منه مع مفهوم المهارة؛ ذلك الجانب هو التّفوّق في الأداء الناتج عن تنمية الملكات وتمكينها في النفس. وهو ما سيوضِّحُهُ تعريف المهارة الآتي.

رابعاً: مفهوم المهارات: وردَ في "جمهرة اللغة": **"مَهَرَ الرّجُلُ مهارةً، إذا أحكَمَ الشَّيء، ومنهُ قيل: سابحٌ ماهرٌ"**.[12] و **"من معاني المهارة أيضاً الكفاءةُ والجودة في الأداء... فإنّ المهارة تدلّ على السلوك المتعلّم أو المكتسب الذي يتوافر له شرطان جوهريان؛ أوّلهما: أن يكون موجّهاً نحو إحراز هدف أو غرض معيّن، وثانيهما: أن يكون منظّماً بحيث يؤدّي إلى إحراز الهدف في أقصر وقت ممكن"**.[13] بهذين التعريفين يتّضح أنّ المهارةَ قدرةٌ مُضافة إلى القدرات الطبيعيّة لدى الأفراد، وأنّ اكتساب المهارةَ يتطلّبُ العمل على تحصيلها بالتّدرُّبِ والمُعاناة، وهما يدخُلان في مفهوم تعلُّم اللغة – إذا أردنا بهما المهارةُ اللغوية العربيّة خاصّة – بمعنى أنّ تعلُّم اللغة العربية ومعاناتها، سواءٌ في ذلك التعلُّم الشفهي كحال كثير من عرب الجاهليّة، أم التعلّم المنظّم الذي أصبحت الحاجةُ إليه مُلِحَّةٌ في عصرنا الحاضر؛ ففي كلا الحالين تتوافر إمكانات اكتساب المهارة اللغويّة بالتدرُّب والمعاناة، أي الاستخدام الأمثل لها تعليماً وخطاباً.

فإذا تحقَّق ذلك أمكن اكتساب المهارات اللغويّة التي تُساعدُ بدورها في صقل الملكات، ومسايرة القدرات اللغويّة في النّموّ والإنتاج المبدع. وهذا الأمر يوضّحُ صلة اللغة العربية بالمهارات وكيفية تأثير اللغة العربيّة في تنميتها. والأثر الفعلي لهذا الأمر يتّضحُ جليّاً في المباحث التالية.

المبحث الأول: تأثير اللغة العربية في المجال الأدبي للأفراد.
أولاً: إثراء الملكات البلاغية وإكساب مهاراتها وغزارةِ مؤلّفاتها.

البلاغة العربية جزء لا يتجزّأ من لغة العرب، وقد قدّمت لِلّسان العربي قدرات باهرة جعلته ينعَمُ بتهذيب اللغة واستثمارها في إنتاج كافة مجالات الأدب العربي، واستنباط قواعده وتطويرها تطويراً مستمرّاً، امتدّ عبر عدّة قرون.[14] ولا زالت مرونة اللغة قادرة على استيعاب مزيدٍ من الإبداع في اختراع وجوهٍ بلاغيّة يُمكن استلهامها من مضامين اللغة العربيّة.

وقد ساعدت بلاغةُ اللغة العربيّة على صقلِ مَلكات العرب وتنمية مهاراتهم، حتّى مكّنتْهُم من إتحاف العالم بفنون الأدب العربي وجماله. "وإنّ الدارس لهذا الأدب: شعرهُ ونثره لَيتولّاهُ العجب حقّاً من تَمَلُّك عرب الجاهليّة لِناصِيَةِ القول، ومِنْ تفَنُّنِهِم في طُرُق التّعبير عن أفكارِهِم وخواطِرِهم إلى درجة تشهدُ لهم بعلوّ المكانة في عالم الفصاحة والبلاغة".[15] ودلالة ذلك ما تتّسم به اللغة العربية؛ فهي أداةٌ طيّعةٌ تساعد على تنمية القدرات اللغويّة ومهاراتها، وتصقل قبل هذا وذاك الملكات الأدبيّة؛ وهذا ما يظهر بجلاء في قصائد الحوليات التي تمكثُ عند الشاعر عاماً كاملاً، ينظُر فيها مراراً، ويجول بفكرِهِ في ألفاظها، ويثِق في مقدرته على ترقية مستوى تلك الألفاظ، وذلك لثقته بأنّ اللغة العربية ستمنحهُ أرَبَهُ وبُغيتَه في صقْلِ ملكاته، وتنمية مهاراته وإتقان شعره.[16]

يُضافُ لذلك أنّ تأثير اللغة العربيّة بلغ بالعلماء مبلغاً رفيعاً؛ جعلهم ينظرون لهذه اللغة نظرة إكبار، ساعدتهم على فهم وظائفها، وإمكاناتها البلاغيّة، وقدرتها في تمكين مستخدميها من تنويع استخداماتها الكلامية، وتنسيب مقالاتها بما يُلائم المقام. وقد أصبحت عبارة "لكلّ مقامٍ مقال" قاعدة بلاغية ضخمة في تنويع الأساليب بحسب حاجة المتكلّم إليها.

ومردُّ ذلك أنّ هذه العبارة موافقة لمعنى البلاغة؛ فالبلاغة – كما عرّفها ابن المقفّع – بقوله: "البلاغةُ اسمٌ جامعٌ لمعانٍ تجري في وجوهٍ كثيرة؛ فمنها ما يكونُ في السّكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكونُ جواباً، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكونُ سجعاً وخُطباً، ومنها ما يكون رسائل؛ فعامّة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى"[17] وهذه الرّحابة تُفسّرُ سبب اهتمام المفسرين بعلومها، وكذا الفقهاء، واللغويين، والنحاةُ والرّواة وغيرهم، مِمّن وجدوا فيها عوناً على التّبحُّر في علومهم، وإبداع وجوهاً جديدة في دراساتهم.

وانطلاقاً من المفهوم العام للبلاغة جادت أقلام البلاغيين لتؤسِّس علمها، وترسُمُ معالمه ومناهجه؛ ويُعدُّ "بشر بن المعتمر"[18] من أوائل المؤسسين لهذا العلم، فقد حوت صحيفته دستوراً بلاغياً وجّه فيه المشتغلين بالبلاغة والمتصدّين للأدب إلى مراعاة اختيار أوقات الإنتاج الأدبي، والبعد عن التّوعّر والتعقيد لما يترتبُ عليه من تأثيرٍ على المعنى. وأوصى بمراعاة تحقيق الكفاءة بين المعاني والألفاظ، ومراعاة تحقيق رشاقة اللفظ وعذوبته وفخامته وسهولته، مع ظهور المعنى ووضوحه. وجعل أساس البلاغة: مطابقته لمقتضى الحال. وأوصى كذلك بجوانب أخرى عديدة كشفت عن أسرار بليغة تحتويها لغة العرب.[19] "وما من شكّ في أنّ صحيفة بشر بن المعتمر كان لها أثر ملموس في تاريخ البلاغة، فقد تأثّر بها بعض رجال البلاغة من أمثال: الجاحظ وأبي هلال العسكري، وابن رشيق القيرواني، وعبد القاهر الجرجاني، واستمدوا منها إشارات وإيحاءات توسّعوا فيها، وعقدوا لها أبواباً وفصولاً فيما كتبوه عن البلاغة".[20] وفي ذلك دلالة على أنّ الملكات البلاغيّة تنمو نموّاً تراكميّاً، يعودُ فضلُه للتّأسيس المتواصل لهذا العلم، الذي يبذلُه علماء هذا الشّأن، ثمّ يعودُ فضله لاتساع دائرة اللغة العربيّة التي تتيح إمكانات استمرار نموّ البلاغة بما يستجدُّ من تراكيب المعاني في لغة العرب.[21]

والناظرُ إلى ما حوته البلاغة العربية من علوم البيان والمعاني والبديع؛ وغيرها من علوم الشعر والنثر والخطابة، يرى ما أنجزه فكرُ علماء العربيّة من مؤلفات خدمت هذه العلوم. ويرى التدرّج الجميل في الكشف عن علومها وفنونها، وإضافة المزيد من وجوهها وبيان معالمها. فقد أُثرَ عن أولئك العلماء مؤلفات تُعدُّ بالمئات، بل بأكثر من ذلك. ونظرة عاجلة إلى كتاب "الفهرست" لابن النديم،[22] وكتاب "كشف الظنون" لحاجي خليفة،[23] وغيرهما من كتب هذا الفنّ؛ تُظهر حجم المشتغلين بالعلوم البلاغية،

والمهتمين بتطويرها منذ نشأتها وإلى ما بعد النشأة بقرونٍ عدّة. ولذلك دلالة خاصّة على ما امتلكُه أُولئك البلاغيون من قدرات لغويّة، ومهارات بلاغيّة، وملكاتٍ تفاعلتْ مع اللغة العربية، فازدهرتْ بازدهارها، ونمتْ بنُمُوِّها. ذلك النّموّ الذي احتضَنَتْهُ لغةُ كتاب الله تعالى، ولغة سنّة نبيّه المصطفى، صلّى اللهُ عليه وسلّم.

فبالنظر إلى وجوه التطوير البلاغي تجد أنّ أوائل المؤلّفين لعلوم البلاغة اهتمّوا بالبلاغة القرآنية والنبويّة، وألّفوا كُتباً في إعجاز القرآن الكريم ونَظمِه، ومجازِه ومُشكلِه، ووردت في مؤلّفاتهم لفتاتٌ ومفرداتٌ تُعدُّ بذوراً لعلم البلاغة. ثمّ اعتنى الجاحظُ[24] بالعلوم البلاغية وأعطاها "الكثير من نشاطه الأدبي والفكري، وهو أوّل من جمع ما يتّصل به من كلام سابقيه ومعاصريه، وشرَحه... فكلّ ما أخذه من قضايا البيان والبلاغة عن سابقيه ومعاصريه وكلّ ما اهتدى إليه من حقائق بلاغية كان له أثر كبير واضح في تاريخ البلاغة. وقلّما ظهر بلاغي بعده لم يفد من كتاباته في البيان والبلاغة..."[25] ويبرز كتابه "البيان والتبيين" ليكون واحداً من أهم الكتب البلاغية؛ فهو "أوفى كتب الجاحظ في الكلام عن الأدب ونقد الشعر، وعن البحث في شئون البيان والبلاغة، وذلك بشهادة القدامى والمحدثين" [26]

ثم ظهرت مؤلّفاتٌ في أدب الكتابة وفنِّها؛ كما فعل ابن قتيبة الدينوري، المتوفى سنة "276هـ". ثم ظهرت العناية باستقلالية فنون علوم البلاغة؛ فظهر علم البديع على يد عبد الله بن المعتزّ، [27] الذي استطاع أن يخترع ثمانية عشر فناً من فنون البديع [28] و "بوضعه كتاب البديع قد قام بالمحاولة الأولى في سبيل استقلال هذا العلم البلاغي وتحديد مباحثه التي كانت من قبل مختلطة بمباحث علم المعاني وعلم البيان. كما لفت أنظار الناس إلى أنّ البديع كان موجوداً في القرآن واللغة وأحاديث الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين. ولكنه كان مُفرّقاً يأتي في الكلام عفواً..."[29]. ثم تابعهُ علماءٌ آخرون رصدوا وجوهاً جديدة من فن البديع، وأضافوا للفنون التي ذكرها ابن المعتزّ فنوناً أخرى؛ كقدامة بن جعفر وأبو هلال العسكري، [30] الذي بلغت فنون البديع في زمانه سبعة وثلاثون فنّاً [31] ثم واصل آخرون تطوير هذا العلم إلى أن بلغوا بفنون البديع ما زاد على ذلك العدد.

ذلك بالنسبة لتطوّر فنّ البديع، أمّا تطوّر العمل به فقد ظهر في القصائد التي تُسمّى "البديعيات" التي تهتم بالمديح النّبويّ الشريف، وتتّسم بسمات محدّدة؛ "وتُنظِّم في ثناياها فنون البديع، وتتّخذ البحر البسيط نغماً، والميم المكسورة رَوِيّاً، وأكثر من هذا؛ فإنّ هذا الفنّ بقواعده كاملة انتقل إلى لغات العالم الإسلامي، فنظم شعراء الأتراك بديعيات باللغة التركية، ونظم شعراء فارس بديعيات باللغة الفارسية، ونظم أهل السند والهند بديعيات باللغة الأوردية..." [32] الأمر الذي يكشف عن حجم تأثير اللغة العربية في قدرات أبنائها وكذا أبناء اللغات الأخرى مِمّن أُعجبوا بصفاتها وجزالة مفرداتها فراحوا يواكبونها في قصائدهم وآدابهم.

وقد تمتّع الأدباءُ بفنون البديع؛ وتنافسوا في تحلِيَةِ قصائدهم به حتّى ظهر مَنْ وشَّحَ كلّ بيت من بديعيّتِهِ بِفَنٍّ مِنه؛ وتأمّل معي ما قيل عن أحدهم: "ظهر في القرن الثامن أديب ناقد كان له أكبر الأثر في البديعيات، وهو أبو بكر علي بن حجّة الحموي (ت837هـ) الذي وجدَ عصرَه يزْخَرُ بالبديعيات، وكان قد أُعجب ببديعيّتَيْ الحِلِّي والموصِليّ،[33] فأراد أن يضع بديعية تفوقهما وتعفوهما فنَظَمَ بديعيّة ضمّن كلّ بيت فيها لوناً بديعيّاً وأشارَ إلى اسمهِ في البيت نفسه وسمّاها "تقديم أبي بكر" وهي في مائة واثنين وأربعين بيتاً... ورأى أنّ هذه البديعية لن تكون ذات فائدة عظيمة إن بقيت أبيات شعر تُحفَظ وتُرَوّى مِنْ غير تَبَصُّرٍ بِفنونها البديعيّة فوضع لها شرحاً سمّاهُ "خزانة الأدب وغاية الأرب". [34]

وفعلُه هذا يكشفُ عمّا لِلُّغةِ العربيّة من تأثيرٍ في استثمار القدرات اللغوية؛ فها هو ابن حجّة الحمويّ يواصلُ مسيرة إبداع البديعيات، ويُلهَم الإحساس بضرورة شرحها؛ فإذا به يُنتجُ لنا سِفْراً ضخماً سمّاه "خزانة الأدب وغاية الأرب" في خمس مجلدات.

ثانياً: أثر مفردات اللغةُ العربية في إثراء علم المعاني والبيان، وتوشيح الأساليب الكلاميّة بهما.

هذان العلمان من مباحث علوم البلاغة، وفنٌّان من فنونها، وهما ثمرتان من ثمارِ اللغة العربيّة بحُلَّتِها الجديدة التي ظهرت في كلام الله تعالى وكلام رسوله العظيم صلّى الله عليه وسلّم؛ فقد ساعدت هذه اللغة على الرُّقيّ بالذوقِ الكلامي، وفهم أسراره، وفهم دواعي تلك الأسرار، وما تؤدّي إليه من رحابةٍ في تنوّع أغراضِ الأساليب اللغويّة، وأثر ذلك في تنوّع فهم الكلام واستيعاب مراميه وغاياته. ولذا كان علم المعاني من أهمّ مباحث العلوم البلاغية وكذا علم البيان. وقد نوّه الإمامُ الزّمخشريّ –رحمه الله تعالى- إلى ضرورة علمي المعاني والبيان في فهم كتاب الله تعالى. [35] وتتّضحُ حقيقةَ كلامه بفهم مضامينهما.

وقد وردَ الحديث عنهما - في هذا الموضع- للكشف عن أثر غزارة اللغة العربيّة، وقدرتها على احتضان عِلمان كهذين العلمين، فضلاً عن غيرهما من العلوم. وقدرتها على تنمية قدرات المشتغلين بهما وصقل ملكاتهم ومهاراتهم العلمية.

وللحديث عن أثر اللغة العربية في تنمية قدرة العلماء على تأسيس علم المعاني والبيان يحسُن التعريف بهما أولاً.

أولاً: مفهوم علم المعاني: هو **"علمٌ يُعرفُ به أحوال اللفظ العربي الذي يُطابق مقتضى الحال"** [36] وقد نشأ علم المعاني في إطار الدراسات القرآنيّة، واهتمام العلماء بإعجاز النّظْم [37] القرآني. والنّظمُ كما وضّحه صاحبُ كتاب التعريفات هو:**"في اللغة: جمع اللؤلؤ في السّلك، وفي الاصطلاح: تأليف الكلمات والجُمل مُترتِّبَة المعاني، مُتناسِبَةَ الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل. وقيل: الألفاظ المترتبة المسوقة المُعتَبَرَة دلالاتها على ما يقتضيه العقل"** [38] وهذا التعريف يشير إلى ما تحتويه الجمل من تشابُه اللفظ، واختلاف المعنى، وما تؤدّيه من فوائد الإفهام؛ ومن ذلك: "تنوّع المعاني بتنوّع أضرب الخبر"[39]، ويمكن توضيحها بما وضّحهُ المبرّد للكندي الفيلسوف حين سأله قائلاً: "إني أجدُ في كلام العرب حشواً؛ يقولون: عبد الله قائمٌ، وإنّ عبد الله قائمٌ، وإنّ عبد الله لقائمٌ، والمعنى واحد. فأجابه المبرد قائلاً: بل المعاني مختلفة، فعبد الله قائمٌ: إخبارٌ بقيامه، وإن عبد الله قائمٌ جواب عن سؤال سائل، وإنّ عبد الله لقائم جواب عن إنكار مُنكر" [40] فتأمّل دقّة التعبير وجماله.

ثانياً: مفهوم علمُ البيان: عرّف الجاحظ البيان بأنه **"اسمٌ جامع لكل شيء كشف لك قناعُ المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يُفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله، كائناً ما كان ذلك البيان، ومن اي جنس كان الدليل، لأنّ مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسّامع إنما هو الفهم والأفهام، فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع..."** [41] ويتضحُ في هذا التعريف مباحث علم البيان التي تُعنى بالكشف عن الأساليب البيانية التي تؤدّي غرض الفهم والإفهام.

هذا وقد تدرّجت نشأة علم المعاني والبيان بتدرّج نشأة العلوم البلاغيّة. وتكلّم البلاغيون الأوائل في النّظم القرآني، والتفتوا إلى ضرورته في فهم القرآن الكريم، وجاءت مباحثُ هذا العلم متناثرةٌ في مؤلفاتهم في التفسير، ومؤلّفاتهم في الإعجاز البلاغي.

وفي القرن الخامس الهجري اهتمّ عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) بالنّظم القرآني، وفصّل الكلامَ فيه، وكشف عن معالمه، وأوضح مضامينه وأهميّته في العلوم البلاغية، وقد حوى ذلك كتابُه "دلائل الإعجاز، الذي يُعدُّ من أهمّ كتب البلاغة العربيّة التي وضَعَتْ أُسس البحث البلاغي، وأوضحت مباحثه وأساليبه. وكان لهذا الكتاب وكتاب "أسرار البلاغة" أثر عظيم في البلاغيين الذين فسّروا القرآن أو الذين تحدثوا عن الشعر وفنون الكلام"[42]. وإن عُدّ كتاب "دلائل الإعجاز" التّأسيس الأول لعلم المعاني؛ فإنّ كتاب "أسرار البلاغة" يُعدّ التأسيس الأول لعلم البيان؛ وعليه فإنّ عبد القاهر الجرجاني هو أوّل مؤسس لهذين العلمين. قال عبد العزيز عتيق [43] : "أسرار البلاغة، هو الكتاب الذي وضع فيه عبد القاهر نظريّة "علم البيان" بقواعده ومباحثه، وشُعبه وتفريعاته الكثيرة. والحقُّ يُقال: إنّه كتابٌ فريد في بابه؛ فهو بحثٌ في البيان العربيّ غير مسبوق ولا ملحوق، وأنه ليدُلُّ على ألمعيّة صاحبِهِ، وغزارةِ عِلمِه، وسلامةِ ذوقِهِ، وعقليّته الجبّارة المُبْتَكِرة". [44] وقد ظهرت ثمرة هذا العلم بجلاء في الإبداع الذي حقّقهُ الزّمخشريّ في

كتابه "تفسير الكشّاف" الذي اعتمد فيه - بصورة واضحة- على علمي المعاني والبيان."ولو وقفتْ جهود الزمخشريّ في البلاغة عند حدّ تطبيق آراء عبد القاهر في تفسيره تطبيقاً مستقصياً بالأمثلة والشّواهد؛ لكان ذلك حَسْبُه مساهمةً في تطوير علمي المعاني والبيان. ولكنا نراهُ يصلُ هذا التطبيق بكثير من آرائه التي تدلُّ على تعمُّقه وفطنته في تصوير الدلالات البلاغية، وإحاطته بخواصّ العبارات والأساليب، كما نراه يُضيف إلى مباحث هذين العلمين ما استكمل به كثيراً من شُعبها ودقائقها ومقاييسها" [45]

وتوالتْ مؤلّفاتُ العلماء وبحوثهم بعد عبد القاهر الجرجاني والزّمخشري في مواصلة الكشف عن معالم فنون المعاني والبيان، والكشف عن جوانب التّطبيق والدرس لهذين العلمين، ولا زالت أقلامُ الباحثين تجوب في معالمهما وتتفنّنُ في الكشف عن أثرهما في بيان الأساليب القرآنية والنّبويّة، ودلالاتهما المعرفيّة والفنيّة والتربوية. وإن دلّ ذلك على شيء فإنّما يدلُّ على ما امتلكته اللغة العربية من ناصية البلاغة وثروة المفردات بما لا تعدِلُها فيه أيّ لغة من لغات العالم أجمع.

وتتميماً لإيضاح معالم تنمية القدرات البلاغية ومهاراتها؛ يحسُن النظر فيما كشف عنه علماء البلاغة من وجوه تجلية علم المعاني لسياق الكلام. وهو من الكثرة بما لا تَسَعُهُ صفحات هذا البحث؛ لذا تمّ الاقتصار على إيراد نماذج معدودة.

يقول الشيخ فضل عباس [46] – رحمه الله تعالى-: "علم المعاني من شأنه أن يدلّنا كيف يكون كلامنا مطابقاً لمقتضى الحال، أي: كيف نراعي المقامات التي نتحدث فيها؛ فمقام المُنْكِرِ يختلف عن مقام الشّاكّ المتردد، وهذا يختلف عن خالي الذّهن الذي لا شكّ ولا تردد عنده؛ لذلك وجب على المتكلّم أن يراعي هذه الأحوال، فيلقي كلامه بِقَدَر من غير زيادة ولا نقص، فإذا كان النقص عيباً فإن الزيادة كذلك". [47]

وقد سخرّت اللغة العربية أدوات لغويّة كثيرة، تساعد المتكلّم على استخدامها في حالاته المختلفة[48]. والنماذج الآتي ذكرها توضّح ذلك:

أولاً: ورد في سورة "الفاتحة" قوله تعالى: **(إيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)** {الفاتحة: 5} قدّم المولى جلّ وعلا المفعول "إيّاك" على الفعل والفاعل في الموضعين؛ وهذا التقديم يوضّح سياق الكلام كما ينبغي أن يكون؛ فإنّ ذلك التقديم يفيد التخصيص؛ أي تخصيص المعبود جلّ شأنه، بالعبادة وحده؛ فلا معبود سواه. وعلى هذا المثال يردُ نظمُ الآيات الدالّة على كمال وحدانيّته سبحانه وتعالى؛ كما في قوله: (عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنا) {الأعراف: 89} وقوله: **(لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)** {القصص: 88} وقوله سبحانه: **(وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ)** {الأنعام: 59}. وغير هذه الآيات كثير.[49]

ثانياً: وردت في سورة "يس" قصّة الرُّسل الذين أرسلهم الله تبارك وتعالى لأصحاب القرية؛ فدعوهم للإيمان، وأخبروهم أنّهم مُرسلون بأمرٍ من ربّ العزّة جلّ وعلا، فأنكر القومُ رسالتهم، فأكدّ الرُّسل لهم ذلك بمؤكّداتٍ لغويّة بديعة؛ ولنتأمّل الآيات الكريمة وهي تروي لنا قصّتَهم؛ قال تعالى: **(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ [13] إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ [14] قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ [15] قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ [16])** {يس: 13 – 16}

تضمّن خطابُ الرُّسلِ للقومِ تأكيداً للخبر، الذي هو "كونهم مُرسلون إليهم"، وذلك بأداة التأكيد: **"إنّ"** وبالجملة الإسمية: **"إنا إليكم مُرسلون"**. ولكنّ القوم أنكروا رسالتهم، وأصرّوا على تكذيبهم؛ فجاء الرُّسلُ بمؤكّدَيْن آخرين: **"ربُّنا يعلمُ إنّا إليكم لمُرسلون"** الأول: القَسَم؛ وهو مفهوم من قوله تعالى: "ربّنا يعلم" والثاني: اللام، وذلك في قوله تعالى: "لمرسلون" [50] وهذه المؤكّدات تُبيّن ضرورة معرفتها واستخدامها لتجلية سياق الكلام، وإيصال السامع إلى غاية المتكلّم.

النموذج الثالث والأخير سنتعرف عليه من كلام عبد القاهر نفسه؛ وذلك لبراعة بيانه؛ قال: "اعلم أنْ ليس "النّظم" إلّا أن تضعَ كلامك الوضعَ الذي يقتضيهِ "علمُ النّحو"، وتعمل على قوانينِهِ وأصولِهِ، وتعرف مناهجَهُ التي نُهِجَتْ فلا تزيغَ عنها، وتحفظُ الرّسومَ التي رُسِمَتْ لك؛ فلا تُخلّ بشيءٍ منها... - وقال -: وينظرُ في "الجُمَل" التي تُسْرَد، فيعرفَ موضع الفصل فيها من موضع الوَصْل. ثمّ يعرفَ فيما حقُّه الوصلُ: موضع "الواو" من موضع "الفاء"، وموضع "الفاء" ومن موضع "ثمّ" وموضع "أو" من موضع "أم"، وموضعَ "لكن" من موضع "بل" [51] إنّ دلالة كلام الجرجاني واضحة فيما ينبغي أن يختار المتكلّم من الحروف المؤدّية لغرضه، وإنّ التمييز الدقيق في استخدام الأدوات التي ذكرها لا يؤدّي المعنى المراد فحسب، بل يؤدّي إلى جانبه وظيفةً أخرى؛ تظهرُ فيما يتحقّقُ في الكلام من رصانةٍ وجمال. ويؤيّدُ هذا القول كلام الجرجاني أيضاً القائل: "فلا ترى كلاماً قد وُصِفَ بِصحّةِ نَظْمٍ أو فسادِه، أو وُصِف بمزيّةٍ وفضلٍ فيه، إلا وأنتَ تجِدُ مرجعَ تلك الصّحّة وذلك الفساد وتلك المزيّة وذلك الفضل، إلى معاني النحو وأحكامه، ووجَدته يدخل في أصلٍ من أصوله، ويتّصِلُ ببابٍ من أبوابه". [52] ويؤكِّدُهُ أيضاً كلام ابن جنّي القائل: "فإذا رأيتَ العرب قد أصلَحوا ألفاظها –أي اللغة العربية – وحسّنوها، وحمَوا حواشيها وهذّبوها، وصقلوا غروبها وأرهفوها، فلا ترينّ أنّ العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ، بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني وتنويه وتشريف...فإنّ العرب إنّما تُحلّي ألفاظها وتدبّجها وتَشيها وتُزخرِفُها، عنايةً بالمعاني الّتي وراءها، وتوصُّلاً بها إلى إدراك مطالبها". [53]

وهذا القولُ يُبيّنُ بياناً شافياً أنّ الأدوات التي يُعنى بها علمُ المعاني، تؤدّي فعلاً غاية تجلية سياق الكلام. وهذه ميزةٌ تتحلّى بها اللغة العربية.

المبحث الثاني: أثر اللغة العربية في تنمية القدرات اللغوية العربية ومهاراتها لدى غير الناطقين بها في الأصل.

لقد شهد تاريخ الإسلام شخصياتٌ غير عربيّة -لا تُعدُ كثرةً – أسهمت في علوم اللغة العربيّة إسهامات ضخمة؛ أدّت إلى الكشف عن قدرة اللغة العربية على إتحاف المعنيين بها، بمهارات علميّة مكّنتهم من منافسة علماء العرب فيما أنتجوه من العلوم والمعارف. ولا شكّ أنّ الذين تمكّنوا من ذلك، تعلّموا اللغة العربيّة وأحسنوها؛ فجادتْ عليهم بثرواتها؛ فأجادوا استخدامها وأتقنوها: خطاباً وتحريراً. ثم أدلَوا بدلوهم في استثمارها.

وقد ظهرت معالم تأثير اللغة العربية في كافّة أنحاء العالم؛ فتجد المتكلّمين بها والمستثمرين لعلومها من بلاد الصين والهند وبلاد فارس وبلدان إفريقيا وأوربّا، وغيرها من البلدان. وتجد لهم إسهامات علميّة مُذهلة، تعجبُ لها، وتتعجّب من تلك المهارة التي مكّنتهم من إبداع إسهاماتهم فيها.

وقد وردَ في هذا المبحث ثلاثة نماذج لعلماء أسهموا في علوم اللغة العربية، وعلوم الشريعة، وغيرها من العلوم ذات الصّلة باللغة العربية. ووقع الاختيار على عدد من: علماء فارس، وعلماء الهند، وعلماء الاستشراق. وذلك لبيان التنوّع في تناول علوم اللغة العربيّة، وأشكال التأثّر بها، ووجوه تأثيرهم بما اكتسبوه من علومها وفنونها.

أولاً: براعة علماء بلاد فارس في اللغة العربيّة وعلومها.

اشتُهر كثير من علماء بلاد فارس بما أنتجوه من مؤلّفاتٍ عربيةٍّ، تزخرُ بها مكتبات العالم، قديماً وحديثاً. وقبل الولوج في ذكرهم، لابد من إيضاح حقيقة ظاهرة في الأدب الفارسي، ترتبطُ ارتباطاً تامّاً بتأثُّر الفرس باللغة العربية؛ فلم يقتصر تأثُّرهم بإتقان اللغة العربية والإسهام فيها، بل امتدّ تأثير آداب العربية وفنونها وبلاغتها إلى مضامين لغتهم – أي الفارسيّة – وقواعدها؛ ذلك لأنّهم طبّقوا نظام قواعدها

وبلاغتها على آدابهم وفنونهم، وجعلوا مساراتها على نهج القواعد العربيّة؛ فقد " كان نشوء الأدب الفارسي وازدهاره في حضانة الأدب العربي وسيطرته؛ فتبع الأدبُ النّاشئ الأدبَ القديم في الصناعة الفنيّة التي أولِع بها بعضُ شعراء العرب منذ القرن الثالث الهجري ثم زادت صنوفها وشاعت وعمّت حتّى صيّرت الشعر صناعةً لفظيّة في القرون الأخيرة فصيغتْ المجازات والاستعارات الفارسيّة على غرار ما ألّف في الأدب العربي... وطبّق على النّظمِ والنّثر في اللغة الفارسيّة قواعد البلاغة العربيّة حينما صارت البلاغةُ قواعد، فكانت كُتُبُ البلاغة الفارسيّة في قواعِدِها واصطلاحاتها لا تختلفُ كثيراً عن نظيراتها في اللغة العربيّة".[54]وقد اشتُهِرتْ رُباعيّاتُ الخيّام[55]– المكتوبة باللغة الفارسية، والّتي عُرفت بتأثرها الكبير بفنون البلاغة العربية- شُهرةً عالميّة، وتُرجمت إلى عدد من لغات العالم.

ولنتأمّل أيضاً ما قيل عن ابن المقفّع (106 – 142هـ) – وهو فارسيّ الأصل- و "أنّه كان قصّاصاً من أعاجيب الدنيا، وكانت فصاحته بالفارسيّة في وزن فصاحته بالعربية؛ يجلس في مجلسه المشهور به فتقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله تعالى ويفسّرها للعرب بالعربيّة، ثمّ يفسّرها للفرس بالفارسيّة، فلا يدرى بأيّ لسانٍ هو أبين" [56]

وكذلك رشيد الدين العمري، المشهور بـ "الوطواط" المتوفى سنة (573هـ) ألّف في البلاغة الفارسيّة كتاباً سمّاهُ: "حدائق السّحر في دقائق الشّعر" تُرجم إلى اللغة العربيّة، وقد تضمّن كتابُه محاولة دقيقة لتطبيق فنون البديع العربي على الأدب الفارسيّ. [57]

فهذه أمثلة ثلاثة على الوجه الثاني لتأثير اللغة العربيّة في علماء فارس.

وللحديث عن ابن المقفّع بقيّة، لنتأمّل جانب إسهاماته باللغة العربيّة، التي تكشفُ عمّا حظي به هذا العالم من مهارات لغويّة رفيعة المستوى؛ لقد نشأ ابنُ المقفّع في "ولاء بني الأهتم، وهم أهل فصاحة وبلاغة، فكان لهذه النشأة تأثير عظيم فيه، وفيما وصل إليه من درجة رفيعة في الأدب" [58]

وقد بلغ ابن المقفّع مبلغاً عظيماً في معرفة اللغة العربية وآدابها وفنون بلاغتها، وبرع في مختلف علومها، إلى حدٍّ كبير؛ وضّح ذلك محقّقُ كتابه "الأدب الصغير والأدب الكبير" عندما وصف أسلوبه الإنشائي قائلاً: "لابن المقفّع أسلوب خاصّ به، هو السّهل الممتنع، وإننا نجد في هذا الأسلوب أفكاراً مُتّسِقةً وقوّة منطق، وألفاظاً سهلة، فصيحةً مُنتقاة، قويّة المدلول على المعاني. ونجد فيه من البلاغة أرفع درجاتها، وقد كان يوصي بالابتعاد عن وحشيّ الألفاظ ومبتذل المعنى... وقد ساد أسلوبه واحتذاهُ بُلغاء الكتّاب، وظلّ سائداً حتى ظهر أسلوب الجاحظ" [59] وهذا الوصفُ يُغني عن المزيد من الكلام عنه.

وهناك آخرون من أبناء الفرس مِمّن أحبّوا الأدب العربي، واصطبغت كتاباتهم "بمذهب الكلف بالحليّ اللفظية والمعنويّة، حتّى صارت الكتابة في القرن الثالث والرابع تكاد لا تخرج عن هذا المذهب...وقد اشتُهر بهذا المذهب كُتّابٌ أكثرُهم من الفرس وحاكاهم كُتّاب من العرب. وزعيم هذا المذهب ابن العميد الفارسي، وقد نشأ في بيئة فارسيّة، وكان يُجيد اللغة الفارسيّة، ويجيد العربيّة، وحاكاهُ الصّاحبُ بنُ عبّاد، وأبو بكر الخوارزمي، وبديع الزمان الهمذاني، ثمّ جاء الحريريّ فأمعَنَ في الصناعة إمعاناً" [60] هذه السِيَر تدلّك دلالة واضحة على حجم التأثر، بله المبالغة الدالة على عِظَمِ الإعجاب بلغة العرب وفنونها، ومحاولة التّمتّعِ بمزيد من ثروتها البلاغيّة.

ثانياً: براعة علماء الهند في اللغة العربيّة وعلومها.

وصل الفتحُ الإسلامي لبلاد الهند في عهد مبكّر، ولكنه لم يسيطر على كافّة مناطقها آنذاك، فقد استمرّت الفتوحات الإسلامية إلى القرن العاشر الهجري، حينما تمكّن الحاكم المغولي المسلم "أورنكزيب" من السيطرة على آخر ولايات الهند [61] لذا لم يظهر تأثير اللغة العربيّة بوضوح في وقت مبكّر، ولعلّ أبكر وقت ظهر فيه تأثير اللغة العربية هو أواخِر القرن الثامن الهجري؛ أي منذ خمسة قرون فقط، ورُغمَ قِصَر هذه الحقبة الزمنية إذا ما قورنت ببداية تاريخ الفتوحات الإسلامية للعالم، التي كانت قريبة عهد بالبعثة النبويّة. فرغم قِصرها، إلا أنّ جهود علماء الهند في إنتاج العلوم والمعارف تجلّت فيها بوضوح؛ حيث وجّه كثيرٌ منهم جُلّ اهتمامهم بالعلوم الشرعية واللغوية والبلاغية. يقول الإمام أبو الحسن الندوي بعد

أن سرد أسماء علماء الهند ومؤلّفاتهم باللغتين العربية والأورديّة: "ولم يزل شعار المسلمين في الهند منذ العهد الأول الاعتناء الكامل باللغة العربية، والتّعصّب لها، وقد حافظوا عليها كلغة التأليف والعلم، وكان فيها شعراء مفلّقون؛ كالقاضي عبد المقتدر الكندي الدهلوي (ت 791 هـ) والشيخ أحمد بن محمد التهانيسري (ت 830هـ)... ولا يزال المسلمون مستمسكين باللغة العربية يدرسون أمهات كتبها في مدارسهم التي يسمّونها "المدارس العربيّة" ويؤلّفون ويكتبون فيها، وقد أصدروا في فترات مجلات وصحفاً عربيّة تدلّ على عنايتهم بهذه اللغة ونشرها وإحيائها."[62]

وقد تعدّدت فنون التأليف باللغة العربية لدى علماء الهند. والحديث عن مؤلّفاتهم يطول؛ ولكن لا بأس بإيراد اسم مؤلّفٍ واحد فقط لكلٍّ منهم؛ فإنّ أبا الحسن النّدوي ذكر لكلّ عالم مؤلفات بلغت المئات عند بعضهم؛ نالت مؤلّفات اللغة العربية منها نصيباً أكبر.

وبالاطلاع على الموضوعات التي اهتمّت بها بعضُ مؤلّفاتهم اتضح أنّ منهم من أنتج كتاباً قيّماً في تراجم علماء الهند باللغة العربيّة؛ ككتاب "نزهة الخواطر"[63] لعبد الحيّ الحسني اللكنوي (ت1341هـ). وقد أبدع في بيان سِيرِ العلماء والكلام عنهم.

ومنهم من برع في تأليف معاجم مصطلحات الفنون، مثل"كشاف اصطلاحات الفنون" وهو: الشيخ محمد أعلى التهانوي– من أعلام القرن الثاني عشر. "وكتابه "عظيم النفع، تلقّاهُ المشتغلون بالعلم في بلاد العرب بالقبول وأثنوا عليه؛ لأنه كمعجم للمصطلحات العلمية يُغني عن مراجعة آلاف من الصفحات ومئات من الكتب" [64] وكذلك برع السيد مرتضى البلجرامي، المعروف بالزبيدي (ت 1205هـ) فأنتج معجم لغة سمّاه "تاج العروس في شرح القاموس".

ومنهم من أجاد في التأليف فأنتج كتاباً يُعدُّ غايةً في الإبداع اللغوي؛ ذلكم هو الإمام وليّ الله الدهلوي، (ت1176هـ) الذي ألّف كتاب "حجّة الله البالغة"، "في أسرار أحكام الشريعة وفلسفة التشريع الإسلامي، وهو كتابٌ مُبتَكر في موضوعه لا يوجد له نظيرٌ في المكتبة العربية على سعتها" [65]

ومنهم من عُني بتأليف معجم للمصنّفين، هو العلامة محمود حسن خان التونكي (ت 1366هـ)، وسمّاه: "معجم المصنفين" و "هو كدائرة معارف في هذا الموضوع في نحو ستين مجلداً، تحتوي على عشرين ألفاً من الصفحات، وعلى تراجم أربعين ألفاً من المصنفين" [66]

وفيهم أيضاً من اعتنى بالتأليف في التفسير والبلاغة كالعلاّمة حميد الدين الفراهي (ت1349هـ)؛ ألّف كتاب "الإمعان في أقسام القرآن" وكتاب "جمهرة البلاغة" وغيرها ممّا دلّ على "تضلّعه من العلوم العربية والبلاغة وأشعار الجاهليين وأساليب بيانهم، والغوص في المعاني" [67]

ومن علماء الهند – كذلك - مَنْ أبدعَ في التّأليف في علوم السنّة النبويّة؛ كالتأليف في شروح الحديث وغريبه، وغيرها؛ منهم: الشيخ عبد الحقّ بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي (ت1052هـ). ذكره اللّكنوي في نزهة النواظر، فقال: "أوّل من نشر علم الحديث بأرض الهند" [68] وعدّ له ثمان وخمسين مؤلفاً، بينها مؤلّفاتٌ في شروح الحديث والتراجم والأدب والتفسير وغير ذلك.

ومنهم: ميرك شيخ بن فصيح الدين الحنفي الهروي، (ت1070هـ) [69] وهو عالمٌ جليل نقل عنه العلماء في مواضع كثيرة من مؤلّفاتهم؛ بلغت ألفاً وخمسمائة موضعاً تقريباً؛ فهو عالم بالمصطلح وأسماء الرّواة وتواريخهم، مُتميّز بالدراية وفقه الحديث، وغريبه، وغير ذلك من فنون العلم.

وإنّ المُطلّع على ما أنتجهُ علماء الهند من مؤلّفات غزيرة ليأخذه العجبُ من تلك القدرات التي صقلتها اللغة العربيّة؛ فجعلتها تجوب بمهارةٍ في بحار علوم اللغة العربيّة، الأمر الذي يشير إلى أنّ الملكات المعرفيّة اللغويّة لدى أولئك الأعلام قد نمتْ نموّاً هائلاً، ساعدتهم على مواصلة البحث والتعمّق في دراسات اللغة العربية وغيرها.

ثالثاً: قدرات المستشرقين في الدراسات العربيّة:

قامت دراسات المستشرقين لِلّغة العربية أولاً على دوافع سياسيّة؛ فبعد الحروب الصليبية "أخذ بعضُ الأوربيين يميل إلى الحلّ الثقافي، بمعنى أن بعضهم أصبح يدعو إلى معرفة العدوّ ثقافيّاً حتّى يُحسنوا

كيفيّة التّعامل معه، بمعرفة مداخِلِه الثقافيّة وأُسُسِهِ الحضاريّة" [70] فبدأ إقبال الغربيين على دراسات اللغة العربية بجهود فرديّة تارةً، وجهود حكومية مُنظّمة مع المؤسّسات العلمية تارة أخرى.

ولم تكن غاياتهم في تعلّم اللغة العربيّة مقتصرة على فهم المداخل الثّقافيّة والأسس الحضاريّة للعرب فحسب؛ بل امتدّت لتحقّق غايات أخرى؛ "فقد كانت أغراض الاستشراق تراثية أو اجتماعيّة سياسيّة. أما الجانب التراثي فيغطيه اهتمامهم بنصوص العربيّة القديمة حتّى يتسنّى لهم فهم جوانب الحضارة الإسلاميّة من عقيدة وتاريخ. وأمّا الجانب الاجتماعي والسياسي فيغطيه اهتمامهم باللهجات العربيّة الدارجة – كما يصرّحُ بذلك "أمبروس" – ولذا فقد وضعوا كتباً تعليميّة لكثير من اللهجات العربيّة منذ زمن مبكّر، لأغراض سياحيّة أو اجتماعيّة أو سياسيّة" [71] ولهذا السبب تجد تنوُّعاً موضوعيّاً في إنتاجهم العلمي. الأمر الذي يدعو إلى القول: إنّ ما بذله المستشرقون في هضم اللغة الفصحى، وهضم اللهجات المحليّة، والتفاعل معهما تعليقاً وتأليفاً؛ يدلّ على قدرتهم على تنويع المهارات المعرفيّة اللغويّة، وتنويع استخداماتهم لها.

وبإقبالهم على دراسات اللغة العربيّة، وتعمُّقِهم فيها ظهرت مواهبَ وقدرات عالية المستوى فيما قدّموه من مؤلّفات باللغة العربية في فنون علميّة كثيرة. ومن ذلك مؤلّفاتهم في فهارس الحديث النبويّ الشريف، ومؤلّفاتهم في المعاجم العربيّة، وكذلك الدّوريات، وغيرها. فأمّا مؤلّفاتهم في فهارس الحديث النبويّ؛ فيمكن التمثيل لها بكتابٍ "المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبويّ. عن الكتب الستّة وعن مُسند الدارمي وموطأ مالك ومُسند أحمد. رتّبهُ ونظّمهُ لفيفٌ من المستشرقين، ونشرهُ الدكتور أ. ي. وِنْسِنِك، أستاذ العربيّة بجامعة ليدن. مكتبة بريل في مدينة ليدن 1926" [72] وهذا الكتاب طُبع في ثمانية مجلّداتٍ، حوى الثّامنُ منها فهرسة موضوعاتها.

ولتقريب معرفة درجة تأثير اللغة العربية في تنمية مهارات المستشرقين، وقدراتهم اللغويّة، يمكن النّظر إلى بعض دراساتهم "اللغويّة التي كثيراً ما وصلت بالبحث العلمي إلى نتائج لم يتوصّل إليها أحياناً أبناء هذه اللغات" [73] دلّ على ذلك كتاب "الأساس في فقه اللغة"، [74] الذي أشرف على تحريره: أ. د. فولفديتريش فيشر. وجمعَ مقالاته عددٌ من المستشرقين الألمان. ورغُم كتابته باللغة الألمانية إلا أنه تضمّن نتائج دراساتهم باللغة العربية واستخلاصاتهم من فنون علميّة عربيّة عدّة، وبتأمُّلِ محتوى هذا الكتاب يتّضحُ ذلك، فقد حوى عدداً من المقالات التي عُني أوّلُها بتاريخ الثروة اللغويّة: المُعرّب والدخيل في اللغة الفصحى. وعُني ثانيها بذكر الأعلام العربيّة: أسماء الأشخاص والكنى والقبائل والأماكن. وبالخطّ العربيّ وتطوّره، وبنشأة الأبجديّة العربيّة، وترتيبها، وبعلامات الترقيم، وعلامات الرّسم الإملائي المساعد، وكذا الأرقام. وعُنيَ ثالثُها بالبرديّات [75] التي باللغة العربيّة وغيرها، والوثائق البرديّة، وخطوطها. وعُنيَ رابعُها بعلم المخطوطات: مادّتها وشكلُها وخطوطُها وروايتُها. وهذا التنوّع -لا شك – له دلالات كثيرة.

وذلك فضلاً عن الجهود الكثيرة التي عُدّت لهم في دراسات اللغة العربيّة والإسلاميّة؛ فبالنّظر إلى كتاب "موسوعة المستشرقين" [76] تتّضح معالم اهتمام المستشرقين باللغة العربيّة، وتنوّع تلك الاهتمامات. [77]

هذه نبذة عاجلة تُظهر معالم التأثير الكبير للغة العربيّة في غير الناطقين بها، وتكشفُ عن أهمّيّتها في العالم الإسلامي والعالم الغربي. وتؤكّد بقدرتها على الاستمرار – التي شهدها التاريخ - أنّها لغةٌ حيّةٌ لا تموت، ولن تموت بإذن الله. بل ستبقى شامخةً عزيزة. وقد أحسن القائل: "أنّ اللغة العربية استطاعت بثرائها ومرونتها أن تتّسِع لفنون الأدب وضروب العلم، وأن تَسَعَ كلّ ما أدخلَهُ عليها أبناء الفرس والذين تأثروا بهم من العرب، ولكنها كانت في هذا كلّه سليمة البناء، وطيدة الخصائص، فلم تفقد شيئاً من مقوّماتها، ولم تنطبع بغير طابعها، على حين أنّ الفارسيّة انطبعت بالطابع العربي في جوهرها وفي مظهرها.

وشبيهٌ بهذا احتفاظ العربيّة بخصائصها حينما اتصلت بفلسفة اليونان وعلومهم، وحينما اتصلت بأوربا في العصر الحديث، فإنها أثبتت قدرتها على الاستيعاب والنماء والتطوّر والثّراء، وستظلّ كذلك قويّة نامية إلى ما شاء الله" [78]

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله تعالى الذي بفضله تتمّ الصالحات، والصّلاة والسلام على خير خلق الله تعالى وعلى آله وصحبه ومن والاه.

اتّصفتْ لغة العرب بمرونة تامّة ساعدتها على البقاء وتطوير المباني والمعاني؛ فأصبحت بذلك لغة الكون، وتعدّدت وجوه التّأثير بمفرداتها وأدواتها وتراكيبها واشتقاقاتها؛ فنالت بذلك عنايةً بالغةً، وحظيت باهتمام الأمم والشعوب؛ وسُخِّرَتْ لأجلها كثيرٌ من الطاقات والجهود والأزمان. وحريٌّ بهذه اللغة أن تأخذ مكانها اللائق بين لغات العالم، وتكون لها القيادة والريادة.

وقد اتضح – في عجالة هذا البحث - بعض معالمها، وجوانب إمكاناتها في تنمية مستوى قدرات الأفراد ومهاراتهم وملكاتهم. وتأكّد ذلك بشواهدٍ حيّة أثبتتها جهود كثيرة، متلاحقةٌ عبر الأزمان والأمكنة.

وتجلّى– بعد ذلك الطرح - عددٌ من النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

أولاً: النتائج

1. إنّ اللغة العربيّة هي اللغة التي حقّق المسلمون بها نهضتهم وحضارتهم.
2. تتمتّع اللغة العربيّة بقدرات التطوير والتنمية لذاتها، وينعكس ذلك - بالضرورة - على المشتغلين بها.
3. يفخرُ العالم المعاصر بكثرة مؤلّفات الغرب، وضخامة نسبتها وتفوّقها على مؤلّفات العرب. ولا ينفي ذلك التفوّق العلمي الذي حقّقه العرب بإنتاج نسبة عالية جداً من المؤلّفات العربيّة في عصور النهضة الإسلامية. مِمّا يُبشِّر بإمكانية عودة تلك المكانة.
4. إنّ التنميّة اللغويّة في إطار اللغة العربيّة تضمنُ للعاملين عليها تطويراً للقدرات اللغويّة ومهاراتها.
5. اللغةُ العربيّة قادرة على تبني العلوم، وتوفير مصطلحاتها المستجدّة، إلى ما لا نهاية له، مما تقتضيه حاجات التطوير الحضاري المعاصر.
6. إنّ التطوير الحضاري المنشود لكلّ بلد، لا يتحقّقُ إلا بالإسهام العلمي باللغة الأصليّة لذلك البلد.

ثانياً: التوصيات

1. إنّ العناية بشأن اللغة العربيّة يقتضي إعادة النظر في مناهج دراستها وتطبيقاتها.
2. يقعُ على عاتق المؤسّسات التعليمية المسئوليّة الأولى في تأسيس قواعد اللغة العربية لدى أبناء العربيّة على وجه الخصوص.
3. البلاغةُ العربيّة بابٌ ضخمٌ من أبواب تحصيل الثروة اللغوية العربيّة، ويمكن الاستفادة منه في تغذية تعليم اللغة العربيّة.
4. تتأكّدُ ضرورة تحقيق سيادة اللغة العربيّة بنشر ثقافتها في كافّة مؤسسات الدولة ونشاطاتها.
5. أساليب تعليم اللغة العربيّة في تاريخ الإسلام حافلة بأساليب ذكيّة جداً، ويمكن الاعتدادُ بها كوسائل، أثبت التاريخُ نجاحها، وذلك لتعليم اللغة العربيّة ونشر علومها في المحافل العامّة.

الهوامش:

[1]) العربية تاريخ وتطوّر؛ الدكتور ابراهيم السمرّائي، مكتبة المعارف، بيروت. ط1. 1413هـ، 1993م. ص: 191.
[2]) ابن جنّي هو: أبو الفتح، عثمان بن جني الموصلي، النحوي اللغوي. صاحب التصانيف (ت 392هـ) انظر: كتاب تجارب الأمم وتعاقب الهمم: 482/7. وكتاب "تاريخ الإسلام: 230/27. وكتاب مرآة الجنان وعبرة اليقظان: 334/2.
[3]) كتاب الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني. حقّقه محمد علي النجار، عالم الكتب، ط1. 1433هـ، 2012م. بيروت. ص: 67. والتعريف الذي ذكره ابن جنّي استدرك عليه بعض العلماء؛ لأنه حصر اللغة في الأصوات، وقد عُدّت لغة الجسد –حديثاً- جزءاً من اللغة. ولكون موضوع البحث متعّلق باللغة العربية، تم الاكتفاء بما ذهب إليه ابن جني.
[4]) ابن فارس هو: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب أبو الحسن الرازي، وقيل القزويني، المعروف بالرازي المالكي اللغوي، نزيل همذان. (ت 395هـ). انظر "تاريخ الإسلام" 309/27. وكتاب: المختصر في أخبار البشر: 135/2.
[5]) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لأحمد بن فارس بن زكريا، القزويني الرازي، أبو الحسين، المتوفى سنة 395هـ، الناشر: محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ، 1997م. ص: 19.
[6]) الصاحبي في فقه اللغة، مرجع السابق.
[7]) كتاب "مصطلحات تربوية ونفسية"، سميرة البدري، دار الثقافة، 2005 ، ط1. عمّان، الأردن.
[8]) يُفهم من مفرداته هذه (جسأ) و (غلظ) ضعف القدرات اللغوية الحاصل بطول الصّمت، الذي يؤدّي – بطبيعة الحال - إلى صعوبة التعبير. فإن المعنى اللغوي للكلمة جسأ هو: يبَس وصلب.
[9]) اللهاة: أقصى الحلق، وهي لحمة مُشرفة على الحَلْق... والجميع لها: لهوات. انظر: تهذيب اللغة: 277/6.
[10]) "في تاريخ البلاغة"، عبد العزيز عتيق. دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط. دت. ص: 71. ونصّ الجاحظ نقل عن "البيان والتبيين" ج1، ص: 272.
[11]) كتاب التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، (ت 816هـ) ضبطه وصحّحه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1 1403هـ، 1983م. ص: 229.
[12]) جمهرة اللغة، تأليف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى 1987م.، ج: 2، ص: 804.
[13]) علم النفس التربوي؛ آمال صادق، وفؤاد أبو حطب، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة. الطبعة الرابعة، 1994، ص: 330.
[14]) انظر كتاب "في تاريخ البلاغة": سرد تطوّر علوم البلاغة بإيراد إبداعات العلماء عبر القرون بدءاً بعبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، وهو من علماء القرن الثالث الهجري، وانتهاء بذكر ابن قيم الجوزية، وهو من علماء القرن الثامن الهجري. وهذا التاريخ له دلالة واضحة في قدرات البلاغيين في ابتكار علوم البلاغة واختراع وجوهاً جديدة لها على مدى خمسة قرون متواصلة.
[15]) المرجع سابق، ص: 7.
[16]) البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (150 – 255هـ) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة. ط7، 1418هـ، 1998م. ج2، ص: 9.
[17]) البيان والتبيين، ج: 1 ص: 116. ولم أجد تعريف ابن المقفع هذا في كتبه المتوافرة، فلعلّه وارد فيما لم يصل إلينا.
[18]) بشر بن المعتمر هو:
[19]) في تاريخ البلاغة، مرجع سابق، ص: 29، 30. بتصرّف. وانظر نصّ صحيفة "بشر بن المعتمر" في كتاب "العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت 328هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت. ط1. 1404هـ، ج4، ص: 147.
[20]) في تاريخ البلاغة، مرجع سابق، ص: 31.
[21]) انظر كتاب: العربية تاريخ وتطوّر، موضوع: "الفصل الثالث: الأصل القديم للمصطلح الحضاري، ص: 187، وما بعدها. مرجع سابق.
[22]) هو كتاب "الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم" تأليف: محمد بن إسحاق النديم. انظر المقالة الثانية من هذا الكتاب، وفيها ذكر ثلاثة فنون: في أخبار النحويين واللغويين وأسماء كتبهم. ص: 45 – 97.
[23]) هو كتاب "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" للإمام العالم حاجي خليفة. ورد ذكر كتب اللغة والنحو والأدب والبلاغة في مواضع عدّة من هذا الكتاب.
[24]) الجاحظ: هو عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان البصري، المعروف بالجاحظ. كان عالماً بالأدب فصيحاً بليغاً مصنّفاً في فنون العلوم، وكان من أئمّة المعتزلة. انظر تاريخ دمشق لابن عساكر: 431/15. توفي سنة 255هـ. انظر: معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: 2101/5.
[25]) في تاريخ البلاغة، ص: 51.
[26]) المرجع السابق، ص: 59.
[27]) ابن المعتز: عبد الله بن محمد بن جعفر الأديب البليغ الشاعر، الفصيح المنطيق، أبو العباسي العباس. الهاشمي البغدادي. له مصنفات منها: طبقات الشعراء، كتاب البديع... (ت 295هـ). انظر: ديوان الإسلام: 243/4. والوافي بالوفيات: 240/17.
[28]) انظر كتاب "في تاريخ البلاغة" (ص: 14، 20، 45، 48) وكتاب "مناهج بلاغية" تأليف: أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، 1972، 1973، دط. ص: 153، وما بعدها. وكتاب "المختصر في تاريخ البلاغة" تأليف: د. عبد القادر حسين. دار الشروق، دط، دت.
[29]) في تاريخ البلاغة، مرجع سابق، ص: 49.
[30]) قدامة بن جعفر بن قدامة الأديب الكاتب الإخباري، أبو الفرج البغدادي، الذي يُضرب به المثل في البلاغة، له مؤلفات منها: كتاب نقد الشعر، وكتاب صابون الغم. وكتاب ترياق الفكر. وكتاب نزهة القلب. توفي بعد الثلاثمائة. انظر ديوان الإسلام: 4/4، 5. وأبو هلال العكسري هو: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، أبو هلال اللغوي العسكري، له كتاب في اللغة وسمه بـ "التلخيص"، وكتاب: "صناعتي النظم والنثر" . انظر: معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: 918/2. توفي بعد الأربعمائة. انظر طبقات المفسرين للأدنه وي. ص: 96.
[31]) في تاريخ البلاغة، ص: 206. وانظر ص: 234، في ذكر تطوير ابن رشيق القيرواني لفنون البديع.
[32]) البلاغة العربية في ثوبها الجديد، (علم البديع)، الدكتور بكر شيخ أمين، دار العلم للملايين، الطبعة الثامنة، 2004م. ج3، ص: 22.
[33]) الحليّ هو: صفيّ الدين الحلي، عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم بن أحمد... هو الإمام العلامة البليغ المفوّه الناظم الناثر، (ت 749هـ). انظر: الوافي بالوفيات: 293/18. والموصليّ هو: علي بن الحسين بن علي بن أبي بكر بن محمد بن أبي الخير، العلامة عزّ الدين الموصلي، الشاعر المشهور، نزيل دمشق، مهر في النظم... وله البديعية المشهورة، قصيدة نبوية عارض بها بديعية الصفيّ الحلّي... (ت 789هـ) انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: 50/4.

[34]) مناهج بلاغية، د. أحمد مطلوب، منشورات وكالة المطبوعات، الكويت، 1972م، 1973م. ص: 335 و 337.
[35]) تفسير الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (467- 538هـ) منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت. رتبه وضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين. ط: 1، 1415هـ، 1995م. ج: 1، ص: 7
[36]) كتاب التعريفات، ص: 156.
[37]) عرّف عبد القاهر الجرجاني "النّظم" بقوله: "النّظم: هو توخّي معاني النحو؛ وبيان ذلك: اعلم أن ليس النظمُ إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجتْ، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمَتْ لك، فلا تُخلَّ بشيءٍ منها. وذلك أنّا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظمُ بنظْمِهِ غير أن ينظرَ في وجوه كلّ بابٍ وفروقه...الخ". انظر: دلائل الإعجاز، لأبي بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار. المتوفى سنة 471هـ، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر . مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني بجدة، ط: 3. 1413هـ، 1992م. ج: 1 ، ص: 81.
[38]) التعريفات، مرجع سابقن ص: 242.
[39]) في تاريخ البلاغة، مرجع سابق، ص: 42.
[40]) المرجع السابق، نقلاً عن كتاب "الكامل" للمبرد، ج: 1، ص: 104".
[41]) البيان والتبيين، ج: 1، ص: 82.
[42]) بحوث بلاغية، مرجع سابق، ص: 10.
[43]) هو مؤلف كتاب "في تاريخ البلاغة".
[44]) في تاريخ البلاغة، ص: 247.
[45]) المرجع السابق، ص: 262، 263.
[46]) أستاذ في التفسير وعلوم القرآن، في الجامعة الأردنية سابقاً.
[47]) أساليب البيان في علوم البلاغة، د. فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن، ط، 1430هـ، 2009م. ص: 41.
[48]) انظر المرجع السابق، ص: 42 وما بعدها.
[49]) انظر: القيم البيانية للمفردة القرآنية، د. أحمد عبد المولى مناعي. ص: 63، 64، رسالة دكتوراة مقدمة في كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، أيار 2013م.
[50]) انظر المرجع السابق.
[51]) دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، (ت 471هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر، أبو فهر. مطبعة المدني، القاهرة. دار المدني جدة، د ط. 1413هـ، 1992م. ص: 81، 82
[52]) المرجع السابق، ص: 83.
[53]) كتاب "فلسفة اللغة" د. عثمان أمين. ص: 42. نقلاً عن كتاب "الخصائص" لابن جني، ج: 1، ص: 228، 229.
[54]) بحوث بلاغية، مرجع سابق، ص: 266، 267. نقلاً عن كتاب الأغاني، ج 19، ص: 31.
[55]) هو: أبو الفتح، غياث الدين، عمر بن إبراهيم، الخيام النيسابوري، الشاعر، وعالم الرياضيات، الذائع الصيت، المتوفى بين 515، 517هـ. وصفه في تتمّة "صيوان الحكمة" بقوله: "الدستور الفيلسوف حجّة الحق، عمر بن إبراهيم الخيام". انظر: تاريخ بيْهق. تأليف: أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن حسين البيهقي، الشهير بابن فندمة. المتوفى سنة 565هـ. دار إقرأ، دمشق، الطبعة الأولى، 1425هـ.
[56]) تيارات ثقافية بين العرب والفرس، الدكتور أحمد محمد الحوفي. دار نهضة مصر، القاهرة. ط 3، د.ت. ص: 178. نقلاً عن "البيان والتبيين" ج1 ، ص: 368.
[57]) انظر: في تاريخ البلاغة، مرجع سابق، ص: 266. بتصرّف يسير.
[58]) الأدب الصغير والأدب الكبير، لابن المقفع، دار صادر، بيروت، والعبارة الواردة من كلام الناشر، ص: 5.
[59]) المرجع السابق، ص: 7.
[60]) تيارات ثقافية بين العرب والفرس، مرجع سابق، ص: 199.
[61]) انظر: تاريخ الإسلام في الهند، د. عبد المنعم النمر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط: 1 1401هـ، 1981م. ص: 342.
[62]) المسلمون في الهند، للعلامة الأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي. دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1420هـ، 1999م. ص: 61.
[63]) هو كتاب "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، المسمى: نزهة الناظر وبهجة المسامع والنواظر"، تأليف العلامة: عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي، المتوفى سنة 1341هـ. دار بن حزم، بيروت. لبنان، 1420هـ. 1999م.
[64]) المرجع السابق، ص: 51.
[65]) المرجع السابق.
[66]) المرجع السابق، ص: 54.
[67]) المرجع السابق، ص: 58.
[68]) نزهة النواظر، عبد الحي الحسني اللكنوي، ج: 5، ص: 554. مرجع سابق.
[69]) المرجع السابق، ج: 5، ص: 654
[70]) بحوث في الاستشراق واللغة، أ. د. إسماعيل أحمد عمايره، دار وائل للنشر، الطبعة الثانية، 2003م. ص: 330.
[71]) المرجع السابق، ص: 359.
[72]) معلومات نشريّة واردة على غلاف الكتاب.
[73]) بحوث في الاستشراق واللغة، مرجع سابق، ص: 432.
[74]) طُبع في مؤسسة المختار، بالقاهرة، وما تمّ الاطلاع عليه هو الطبعة الأولى، 1422هـ، 2002م.
[75]) "شكّل البرديّ: المادّة التي استُعمِلت للكتابة في الحضارة المصريّة منذ القدم، وقد صنعها المصريون من نبات ينبتُ أصلاً في أطراف حوض النيل، وهو نبات الحلفا...وبقيت هذه المادة المصنوعة من الحلفا محتفظة بأهمّيّتها فترة طويلة من الزمن كمادة أساسيّة للكتابة والتدوين...وتبقى لأوراق البردي العربية أهمّيتها الخاصة لتوضيح الصورة في الفترة الإسلامية الأولى..." انظر: "تعريف بالوثائق البردية العربيّة وأهمّيتها في دراسة التاريخ الإسلامي" تأليف: د. فالح حسين. مجمع اللغة العربية الأردني. www.majma.org.jo
[76]) تأليف: عبد الرحمن بدوي، طبعت بدار العلم للملايين، لبنان، بيروت، الطبعة الثالثة، 1993م.

[77]) انظر على سبيل المثال كلامه عن " أجيلات" ص: 14. "إربنيوس" ص: 16. "أنطونيوس الأكولاني" ص: 55. "برجشتر يسر" ص: 85. "برنشفج" ص: 92. "بوخارتس" ص: 133. "بوستل" ص: 135. "جوليوس" ص: 204. وآخرون.
[78]) تيارات ثقافية بين العرب والفرس، مرجع سابق، ص: 308.